٧ ذم الكسل

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: أمرنا الله بالطاعات واغتنام الصالحات وحذرنا من قلة

الرغبة في فعل الخيرات والتثاقل عن ذلك ، وإن الكسل مما يسبب التثاقل عن الطاعات ويضيع فرص اغتنام الخيرات ، ولذا فإنه من الصفات المذمومة لأنه مطية أصحاب الهمم الدنيئة.

والمراد بالكسل « التثاقل عن الشيء والقعود عن إتمامه».[١]

وقال الإمام النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه.[٢]

وقد حارب الإسلام الكسل ودعا إلى العمل وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الكسل ، ففي الصحيحين[٣] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال كان النبي ﷺ يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من عذاب القبر** ».

وفي صحيح مسلم [٤] عن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها** » .

وفي صحيح ابن حبان [٥] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان النبي ﷺ يدعو يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهرم ، والقسوة والغفلة والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والشرك والنفاق،**

(١) مقاييس اللغة ج٥(١٧٨) لابن فارس.
(٢) المنهاج ج١٧(٣٠).
(٣) البخاري برقم (٢٨٢٣) ومسلم برقم (٢٧٠٦).
(٤) مسلم برقم (٢٧٢٢).
(٥) ابن حبان برقم (١٠٢٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وصححه شيخنا الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في الصحيح المُسند برقم (٣٩).

والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم ، والجنون والبرص ، والجذام وسيء الأسقام » .

ولقد علمنا نبينا ﷺ دعاءً ندعو به في كل صباح ومساء لنستعيذ بالله من الكسل ففي صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال : « **أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم أسألك خير هذه الليلة ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة ، وشر ما بعدها ، اللهم إني أعوذ بك من الكسل ، وسوء الكبر اللهم إني أعوذ بك من عذاب في النار ، وعذاب في القبر** » .

والكسل عن الطاعات من صفات المنافقين ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :١٤٢] .

قال العلامة ابن العربي –رَحِمَهُ اللَّهُ– :

يعني متكاسلين متثاقلين ، لا ينشطون لفعلها ، ولا يفرحون لها ، وقد قال ﷺ في الآثار : « **أرحنا بها يا بلال** » . فكان يرى راحته فيها . وفي آثار أخر: « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** ». وفي الحديث:« **أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح** »؛ فإن العتمة تأتي وقد أنصبهم عمل النهار ، فيثقل عليهم القيام إليها ، وتأتي صلاة الصبح ، والنوم أحب إليهم من مفروح به ، وهم لا يعرفون قدر الصلاة دنيا ولا فائدتها أخرى ؛ فيقومون إليها بغير نية إلا خوفًا من السيف ومن قام إليها مع هذه الحالة بنية إتعاب النفس وإيثارها عليها ، طالبًا لما عند الله سبحانه فله أجران ، والذي يرى

(١) مسلم برقم (٢٧٢٣) .

راحته فيها مع الملائكة المقربين [١]

وقال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة :٥٤] .

وقال تعالى ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة :٨١] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة :٨٦] .

وفي صحيح مسلم [٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى ، وإنهن من سُنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته ، لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه ، المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف** ».

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: للمنافق ثلاث علامات ، يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان بين الناس ، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه ،

---

(١) أحكام القرآن ج١(٥١١) .
(٢) مسلم برقم (٦٥٤) .

وينقص إذا ذُم .[١]

وقال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : النفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة .[٢]

والأصل أن الكسل من الشيطان ففي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » .

وقد جاء أيضًا في الصحيحين [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان** » .

فانظر يا أخي كيف يثبط الشيطان هذا الإنسان عن قيام الليل الذي هو سبب في مغفرة الله للعبد ، وحط ذنوبه عنه ونشاط بدنه ، ولهذا قال بعض السلف -رحمهم الله- : وفي قيام الليل من الفوائد أنه يحط الذنوب وينشط البدن.

ولقد كان النبي ﷺ لا يدع قيام الليل عبادة لله ومحاربة للكسل ففي سُنن أبي داود [٥] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : « **كان رسول الله ﷺ لا يدع قيام الليل ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا** ».

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج١(٤٢) .
(٢) تفسير القرطبي ج٨(١٦٣) .
(٣) البخاري برقم (١١٤٢) ومسلم برقم (٧٧٦) .
(٤) البخاري برقم (٣٢٨٩) ومسلم برقم (٢٩٩٤) .
(٥) صحيح أبي داود برقم (١٣٠٧) .

وهل كانت بدعة التصوف إلا عن طريق الكسل ، كما قال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أسس التصوف على الكسل.[١]

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم ، وبهدي سيد المرسلين ، أقول قولي هذا ، واستغفروا الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

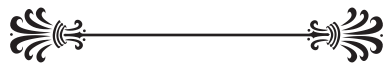

(١) تلبيس إبليس ص (٣٦٣) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد:

فقد حذر السلف الصالح من الكسل وذموه أيما ذم ، قال بعض السلف : الكسل مجلبة للفشل ، ومبطلة للعمل ، مخيبة للأمل .

ولله در من قال:

ومــن رام العلا مــن غـير كد أضــاع العمر في طلب المحال

وقال بعض الحكماء: نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فإن العبد إذا كان زاهدًا بطالًا فسد أعظم فساد ، وهؤلاء لا يعمرون الدنيا ولا الآخرة . (١)

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فإن رأيته ـ أي طالب العلم ـ مجدًا في طلب العلم، لا حظ له في القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حُسن نيته. (٢)

---

(١) الفتاوى ج٢٠(١٥٠) .
(٢) السير ج(٧(١٦٧) .

وقال الإمام الماوردي -رحمه الله- :

اطلب العلم و لا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل
لا تقل ذهبت أيامه كل من سار على الدرب وصل
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل

وقال آخر:

دع التكاسل في الخيرات تقبلها فليس يسعد بالخيرات كسلان

وقال خالد بن صفوان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : مفتاح نجح الحاجة الصبر على طول المدة، ومغلاقها اعتراض الكسل دونها.

أيها المؤمنون: لقد سمعتم خطورة الكسل ، وأنه يحرم صاحبه خيرًا كثيرًا ، إلا أن هنالك أسبابًا إذا وقع الإنسان في واحد منها زاد كسله ، وقل خيره ، فمن ذلك ارتكاب المعاصي وكسب السيئات ، وهذه عقوبة عظيمة وأثر من آثر المعصية.

ومن أسباب الوقوع في الكسل التكلف في العبادة والغلو فيها ففي الصحيحين[1] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا :أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال « **من هذه** » قالت فلانة تذكر من صلاتها قال « **مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا** » وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

وفي الصحيحين[2] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : « دخل النبي ﷺ

(١) البخاري برقم (٤٣) ومسلم برقم (٧٨٥) .
(٢) البخاري برقم (١١٥٠) ومسلم برقم (٧٨٤) .

فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل ؟، قالوا: هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي ﷺ : « **لا ، حلوه ، ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد** » .

ومن أسباب الوقوع في الكسل نسيان الموت والدار الآخرة ، ولهذا قال بعض السلف: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسيه عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل في العبادة.[١]

ومن أسباب الوقوع في الكسل صحبة الكسالى .

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

كما أن هناك أسبابًا للتخلص من الكسل ؛ فمن ذلك :

الاستعاذة بالله من الكسل ، ففي الصحيحين [٢] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**» .

ومن أسباب التخلص من الكسل أن يعلم المسلم أن دين الإسلام

---

(١) فيض القدير ج٢(١٠٩) .

(٢) البخاري برقم (٦٣٦٨) ومسلم برقم (٨٥٩) .

دين عمل وجد في كل الأوقات ، وانظروا عباد الله إلى الصحابة كيف جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وضحوا بكل غالٍ ونفيس ، وهم الذين كانوا يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

فقد ترى الرجل موهوبًا ونابغة ، فيأتي الكسل فيخذل همته ، ويمحق موهبته ، ويطفئ نور بصيرته ، ويشل طاقته .

قال الفراء: لا أرحم أحدًا كرحمتي لرجلين ، رجل يطلب العلم ولا فهم له ، ورجل يفهم ولا يطلبه ، وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم .

قال المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام [1]

ولله در من قال:

احرص على كل علم تبلغ الأملا ولا تواصل لعلم واحد كسلا

النحل لما رعت من كل فاكهة أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا

فالشمع بالليل يستضاء به والشهد يبري بإذن الواحد العللا

---

(١) علو الهمة ص(٣٣٦) للمقدم .

وقال آخر:

كن رابط الجأش وارفع راية الأمل وسر إلى الله في جد بلا كسل

وإن شعـــرت بنقص فيك تعرفه فغذ روحـك بالقرآن واكتمل

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: و اعلم أنك في ميدان سباق، والأوقات تنتهي، و لا تخلد إلى كسل، فما فات مات إلا بالكسل، و لا نال من نال إلا بالجد و العزم، و إن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور.[1]

نسأل الله أنفة من الرذائل، وهمة في الفضائل، ويقظة تامة تصرف عنا رقاد الغفلات، وعملًا صالحًا نأمن معه من الندم عند الممات، إنه سميع مجيب الدعوات.

والحمد لله رب العالمين.

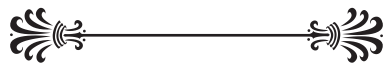

(١) صيد الخاطر ص (٢٣١).